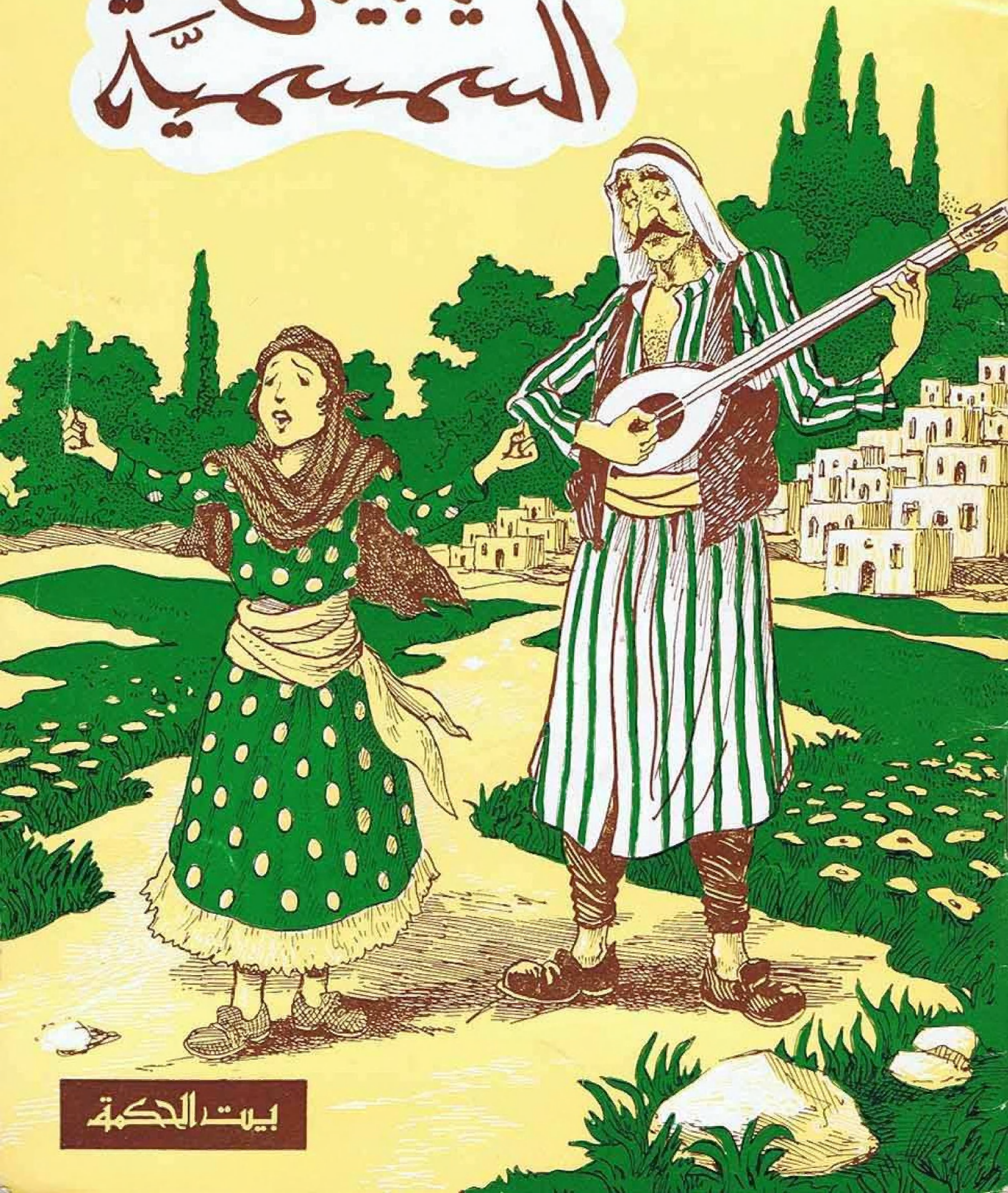


# يا بياع السمسمية



بيت الحكمة

# يا بَيْع السِّمِمْيَّةِ!

كُتِبَتْهَا: جهوزفين ميسُور وأنطوان ميسُور  
اشرف عليها: جبران ميسُور  
رسم لوحاتها: رضوان السُّرّال

مكتبة المصطفى - بيروت

# التيمة ما ولي

جميع الحقوق محفوظة لـ «بيت الحكمة»

جميع الحقوق محفوظة لـ «بيت الحكمة»  
التيمة ما ولي - لولمسة  
والتيمة ما ولي - لولمسة

## ١- الْقَرْيَةُ فِي عِيدِ !

الْقَرْيَةُ فِي عِيدِ ! إِنَّهُ عِيدُ الْقِطَافِ <sup>(١)</sup> ، يَحْتَفِلُ بِهِ السَّكَّانُ يَوْمًا كَامِلًا فِي كُلِّ عَامٍ ، بَعْدَ أَنْتِهَائِهِمْ مِنْ قَطْفِ الْعِنَبِ الشَّهِيِّ النَّاضِجِ . فِيهِ يَعْصِرُونَ قِسْمًا مِنْ غَلَالِهِمْ <sup>(٢)</sup> فَيَطْبُخُونَهُ فِي الدُّسُوتِ <sup>(٣)</sup> الْكَبِيرَةِ ، فَتُعْطَى الْعَنَاقِيدُ اللَّوْلُئِيَّةُ دَبْسًا ذَهَبِيًّا طَيِّبًا . وَأَمَّا الْعِنَبُ الْبَاقِي فَيَبِيعُونَهُ <sup>(٤)</sup> مِنَ التُّجَّارِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ قَرْيَتَهُمْ وَالْقُرَى الْمُجَاوِرَةَ الْأُخْرَى .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْجَمِيلِ مِنْ أَيَّامِ أَيْلُولِ الْحَارِّ ، أَنْصَرَفَ أَهَالِي الْقَرْيَةِ جَمِيعًا ، كِبَارًا وَصِغَارًا ، يَحْتَفِلُونَ كَالْمُعْتَادِ بِعِيدِ الْقِطَافِ .

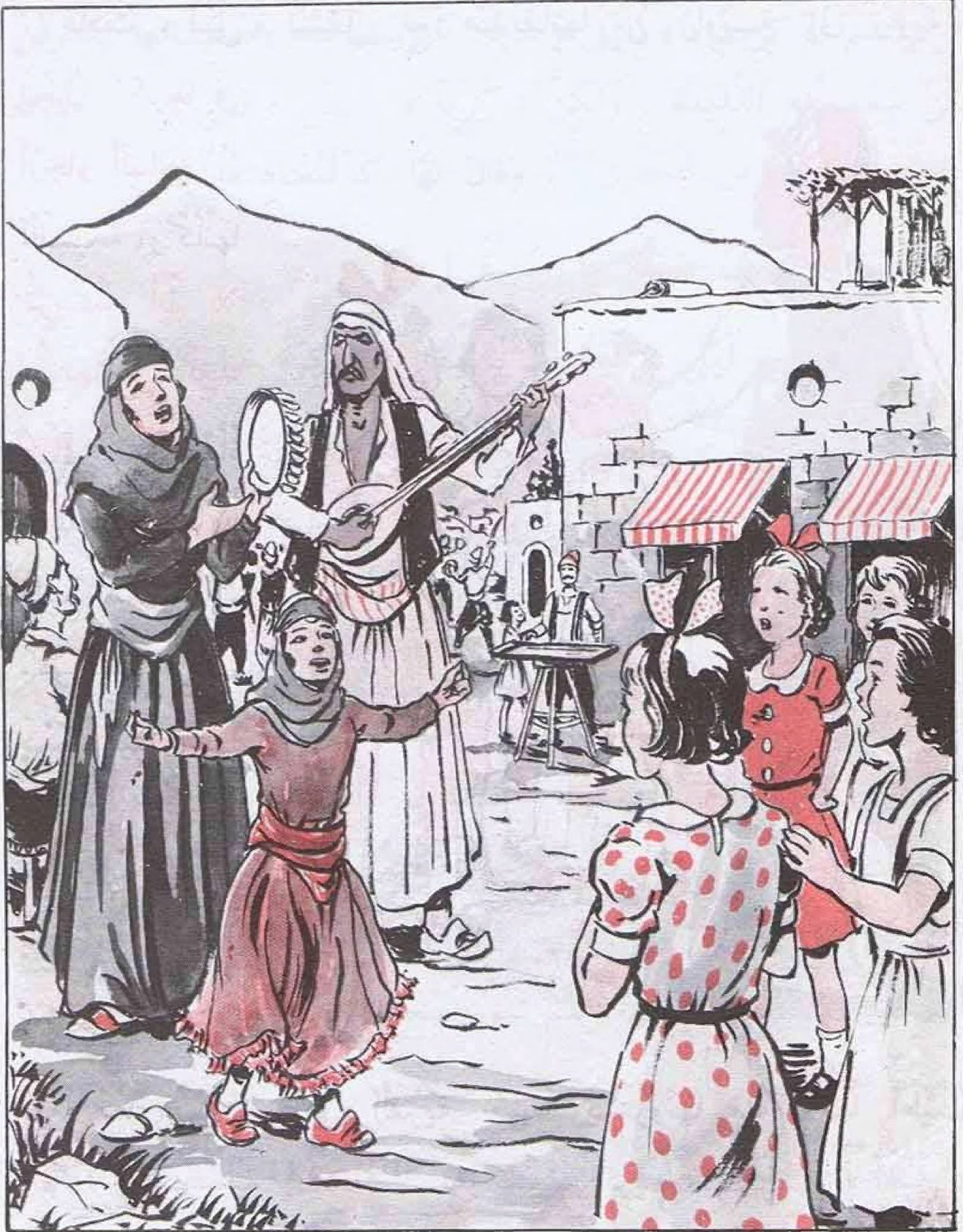
خَرَجَتْ « لَيْلَى » مِنْ مَنْزِلِ وَالِدَيْهَا بَعْدَ الظُّهْرِ ، بِثِيَابٍ جَدِيدَةٍ زَاهِيَةٍ <sup>(٥)</sup> ، وَفِي جَيْبِهَا قُرُوشٌ كَثِيرَةٌ ، فَاتَّجَهَتْ بِخُطَى خَفِيفَةٍ مُتَرْقِصَةٍ <sup>(٦)</sup> نَحْوَ سَاحَةِ الْقَرْيَةِ حَيْثُ تَجْرِي الْأَحْتِفَالَاتُ الْجَمِيلَةُ . هِيَ ابْنَةُ الشَّيْخِ « جَابِرٍ » ، مُخْتَارِ الْقَرْيَةِ وَزَعِيمِهَا <sup>(٧)</sup> الْمَحْبُوبِ ، لَهَا مِنَ الْعُمَرِ سَبْعُ سَنَوَاتٍ ، جَمِيلَةُ الْوَجْهِ ، يُحِبُّهَا الْجَمِيعُ لِفِطْنَتِهَا <sup>(٨)</sup> ، وَخِفَّةِ ظِلِّهَا ، وَذَكَائِهَا ، وَيُحِبُّونَ شَامَتَيْنِ <sup>(٩)</sup> جَمِيلَتَيْنِ كَانَتَا لَهَا فِي وَسْطِ خَدَّيْهَا .

إِلْتَقَتْ « لَيْلَى » فِي طَرِيقِهَا بَعْضَ صَدِيقَاتِهَا ، فَتَهَا فتن<sup>(١١٠)</sup> عَلَيْهَا  
وَهُنَّ فَرِحَاتٌ مِثْلَهَا ، وَسِرْنَ كُلُّهُنَّ مُبْتَهَجَاتٍ يَمْنِينَ النَّفْسَ<sup>(١١١)</sup>  
بِقَضَاءِ وَقْتِ مُمْتَعٍ .

كَانَتْ الْمَهْرَجَانَتُ<sup>(١١٢)</sup> آيَاتُ<sup>(١١٣)</sup> مِنْ أَلْبَهَجَةِ وَالرَّوْعَةِ . فَفِي  
رُكْنٍ<sup>(١١٤)</sup> مِنَ الْأَرْكَانِ وَقَفَ لَاعِبُو السَّيْفِ وَالتُّرْسِ<sup>(١١٥)</sup> يَغْرِضُونَ مَا  
لَدَيْهِمْ مِنْ فَنٍّ وَرِشَاقَةٍ . وَفِي رُكْنٍ آخَرَ رَاحَتْ فِرْقَةُ الْقَرْيَةِ  
الْمُوسِيقِيَّةُ تَعْرِفُ أَلْحَانًا شَعْبِيَّةً عَذْبَةً ، فِيمَا أَنْصَرَفَ الشَّبَانُ وَالشَّابَّاتُ  
يَرْقُصُونَ الدَّبَكَةَ عَلَى أَنْغَامِهَا . وَفِي رُكْنٍ ثَالِثٍ أَخَذَ الْأَطْفَالُ يَلْهُونَ  
بِمَا يَطِيبُ لَهُمْ مِنَ الْأَلْعَابِ الْمُسَلِّيَةِ . وَطَافَ بَائِعُو الْحُلُوى وَالْمُرْطَبَاتِ  
فِي السَّاحَةِ يَغْرِضُونَ عَلَى النَّاسِ أَصْنَافَهُمْ الْمُتَعَدِّدَةَ الشَّهِيَّةَ . وَأَمَّا  
النُّورُ<sup>(١١٦)</sup> فَقَدْ أَنْقَسَمُوا جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ ، فِيهَا الْعَازِفُونَ وَالرَّاقِصُونَ  
وَالْمُغَنُّونَ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَعْمَارِ . كَانُوا مُتَعَةً لِلنَّاظِرِينَ<sup>(١١٧)</sup> بِثِيَابِهِمْ  
الزَّاهِيَةِ ، وَالْعَابِهِمْ الْمُدْهَشَةِ ، وَرَقَصَاتِهِمْ الْخَفِيفَةَ ، الَّتِي يَحْمِلُونَهَا  
إِلَى الْقَرْيَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ .

وَقَفَتْ « لَيْلَى » تَنْظُرُ مَعَ صَدِيقَاتِهَا إِلَى نُورِيَّةٍ شَابَةٍ تُغْنِي ، يُرَافِقُهَا  
عَلَى الطُّنْبُورِ نُورِيٌّ كَهْلٌ<sup>(١١٨)</sup> ، بَيْنَمَا رَاحَتْ نُورِيَّةٌ صَغِيرَةٌ ، فِي مِثْلِ  
سِنِّهَا ، تَرْقُصُ عَلَى الْأَنْغَامِ وَهِيَ تَتَمَايَلُ مُبْتَسِمَةً . رَثَتْ<sup>(١١٩)</sup> « لَيْلَى »  
لِلنُّورِيَّةِ الصَّغِيرَةِ وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :

– يَا لِلصَّغِيرَةِ الْمُسْكِينَةِ ! وَيَا لِلْعَمَلِ الشَّاقِّ ! لَا رَيْبَ أَنَّهَا تَشْقَى  
بِمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ مُرْهِقٍ !



وَمَا إِنْ أَنْتَهَتْ الرَّاqِصَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ رَقْصِهَا حَتَّى تَقْدَمْتُ «لَيْلى»  
مِنْهَا وَوَضَعْتُ فِي دَفِّهَا شَيْئاً مِنْ أَلْمَالِ الَّذِي كَانَ فِي حَوْزَتِهَا<sup>(٢٠)</sup>  
عَادَتْ «لَيْلى» تَتَنَقَّلُ مَعَ صَدِيقَاتِهَا مِنْ زَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ،

تَجُولُ بِبَصَرِهَا فِي  
أَرْجَاءِ السَّاحَةِ<sup>(٢١)</sup>

الْفَسِيحَةِ، وَكَأَنَّهَا  
تُرِيدُ أَنْ لَا  
يَفُوتَهَا مِنَ الْعِيدِ  
شَيْءٌ<sup>(٢٢)</sup>. وَفَجْأَةً

شَاهَدَتْ «كَرِيماً»،  
بَائِعَ السُّمْسِمِيَّةِ،  
وَهُوَ شَابٌّ شَرِيفٌ  
يَسْكُنُ بَيْتاً صَغِيراً  
فِي جِوَارِ<sup>(٢٣)</sup> بَيْتِهَا.  
كَانَتْ «لَيْلى»  
تَشْتَرِي مِنْهُ  
السُّمْسِمِيَّةَ اللَّذِيذَةَ

يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَأَهْلُ الْقَرْيَةِ جَمِيعاً يَشْتَرُونَهَا مِنْهُ لِأَنَّهَا أَطِيبُ  
أَنْوَاعِ السُّمْسِمِيَّةِ إِطْلَاقاً<sup>(٢٤)</sup>. وَكَانَ «كَرِيمٌ» يَكُنُّ<sup>(٢٥)</sup> «لَيْلى»



أَبْنَةُ الشَّيْخِ « جَابِرٍ » **مَوَدَّةً** <sup>(٢٦)</sup> مُنْذُ صِغَرِهَا : فَهُوَ **يُجِلُّ** <sup>(٢٧)</sup> أَبَوَيْهَا ، وَيُحِبُّهَا لِتَهْدِيْبِهَا ، وَذَكَائِهَا ، وَلُطْفِهَا .

إِبْتَسَمَ « كَرِيمٌ » « لَيْلَى » سَاعَةً أَقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَصَدِيقَاتِهَا يَشْتَرِينَ مِنْ سَمْسَمِيَّتِهِ اللَّذِيذَةَ . وَلَكِنَّ « كَرِيماً » **أَعْطَى** « لَيْلَى » **دُونَ سِوَاهَا** **قِطْعَةً إِضَافِيَّةً مِنَ الْحَلْوَى** <sup>(٢٨)</sup> ، وَقَالَ لَهَا كَالْمُعْنَادِ مُدَاعِباً :

- كُلِّي ، أَلْفَ صِحَّةٍ يَا صَبِيَّةُ !

وَأَنْصَرَفَتْ « لَيْلَى » عَنْهُ مَعَ صَدِيقَاتِهَا شَاكِرَةً ضَاحِكَةً .

وَبَعْدَ مَا أَكَلَتْ الصَّغِيرَاتُ السَّمْسَمِيَّةَ الطَّيِّبَةَ ، وَابْتَعَدْنَ قَلِيلاً عَنِ الصُّوْضَاءِ ، قَالَتْ « لَيْلَى » لَهُنَّ :

- هَلُمَّ نَلْعَبْ بِالْغَمِيْضَةِ .

فَصَفَّقَتْ أَلْفَتِيَّاتُ لِلْفِكْرَةِ طَرْباً وَوَافَقْنَ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ .

أَغْمَضَتْ إِحْدَاهُنَّ عَيْنَيْهَا ، وَأَنْطَلَقَتْ أَلْفَتِيَّاتُ الْبَاقِيَّاتُ تُحَاوِلُ كُلُّ مِنْهُنَّ أَنْ تَجِدَ لِنَفْسِهَا مَخْبَأً . وَظَلَّتْ « لَيْلَى » تَبْحَثُ عَنْ مَخْبَأٍ لَهَا وَهِيَ تَتَنَقَّلُ مِنْ زَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ وَمِنْ شَجَرَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ ، حَتَّى بَعُدَتْ كَثِيراً عَنِ الطَّرِيقِ . فَلَمْ تَبْقَ تَسْمَعُ مِنَ الْأَحْتِفَالِ إِلَّا **أَصْدَاءَ** <sup>(٢٩)</sup> بَعِيدَةً خَافَتَهُ .

وَفَجْأَةً وَجَدَتْ « لَيْلَى » نَفْسَهَا فِي غَابَةِ كَثِيفَةِ الْأَشْجَارِ ، كَثِيرَةٍ

الصُّخُورِ، فَظَنَّتْ أَنَّهَا قَدْ وَجَدَتْ مَخْبَأَهَا الْمَنْشُودَ، فَلَجَّاتُ إِلَى صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ وَقَبَعَتْ<sup>(٣٠)</sup> وَرَاءَهَا .

بَقِيَتْ هُنَاكَ مُدَّةً طَوِيلَةً . وَلَمْ تَأْتِ صَدِيقَاتُهَا لِلْبَحْثِ عَنْهَا، فَقَامَتْ مِنْ مَكَانِهَا مُبْتَسِمَةً، مُعْتَقِدَةً أَنَّهَا قَدْ خَدَعَتْهُنَّ، وَأَنَّهِنَّ لَنْ يَسْتَطِيعْنَ الْعُثُورَ عَلَيْهَا . وَعَادَتْ تَبْحَثُ عَنْ مَخْرَجٍ تَنْطَلِقُ مِنْهُ إِلَى طَرِيقِ الْعُودَةِ . وَلَكِنْ عَبَثًا حَاوَلَتْ<sup>(٣١)</sup> ! كَانَتْ الْأَشْجَارُ الْبَاسِقَةُ، وَكُتِلُ الصُّخُورِ، تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَا كَانَتْ تَنْفِذُ<sup>(٣٢)</sup> إِلَى مُنْفَرَجٍ<sup>(٣٣)</sup> مِنَ الْغَابَةِ حَتَّى تَجِدَ نَفْسَهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي غَابَةٍ أُخْرَى .

تَعِبَتْ « لَيْلَى »، وَتَسَرَّبَ<sup>(٣٤)</sup> الدُّعْرُ<sup>(٣٥)</sup> إِلَى صَدْرِهَا، فَجَلَسَتْ إِلَى صَخْرَةٍ تَبْكِي وَتُنَادِي . وَبَقِيَتْ هَكَذَا زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى أَذْرَكَتْهَا<sup>(٣٦)</sup> الظُّلْمَةُ، فَازْدَادَ خَوْفُهَا وَأَشْتَدَّ بُكَاءُهَا .

وَمَا لَبِثَتْ « لَيْلَى » أَنْ سَمِعَتْ<sup>(٣٧)</sup> صَوْتًا بَعِيدًا يَدْنُو مِنَ الْمَكَانِ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَكَأَنَّهُ رَنِينُ الْأَجْرَاسِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تُعَلَّقُ فِي أَغْنَاقِ الْبَهَائِمِ . إِنَّتَعَشَ قَلْبُهَا فَرَحًا، فَراحَتْ تَرْكُضُ فِي الْغَابَةِ نَحْوَ مَصْدَرِ الصَّوْتِ . وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى أَبْصَرَتْ جَمَاعَةً مِنَ النَّوَرِ قَادِمِينَ نَحْوَهَا وَقَدْ رَفَعُوا عَلَى الدَّوَابِّ أَمْتَعْنَهُمْ<sup>(٣٨)</sup> وَأَطْفَالَهُمْ، عَائِدِينَ مِنَ الْمِهْرَجَانِ نَحْوَ مَضَارِبِهِمْ<sup>(٣٩)</sup> الْبَعِيدَةِ .

أَلْقَتْ « لَيْلَى » عَلَيْهِمُ التَّحِيَّةَ ؛ فَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا نُورِيَّةٌ عَجُوزٌ

وَأَخَذَتْ تَتَفَحَّصُهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَى قَدَمَيْهَا . قَالَتْ النُّورِيَّةُ :  
- مَا لَكَ يَا بُنَيَّةُ ؟



أَجَابَتْ « لَيْلَى » خَائِفَةً :

- كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ صَدِيقَاتِي ، وَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ وَسَطَ الْغَابَةِ .

هَدَّاتِ النُّورِيَّةُ الْعَجُوزُ مِنْ رَوْعِهَا<sup>(١٠)</sup> . ثُمَّ ارْتَسَمَ فِي عَيْنَيْهَا بَرِيقٌ عَجِيبٌ . وَاسْتَدَارَتْ نَحْوَ نُورِيٍّ عَجُوزٍ تَهْمِسُ فِي أُذُنِهِ كَلِمَاتٍ قَلِيلَةً . فَأَقْبَلَ عَلَى « لَيْلَى » يُلاطِفُهَا وَاعِدًا بِأَنْ يُعِيدَهَا إِلَى ذَوِيهَا لِلْحَالِ .

إِسْتَأْنَفَ النُّورُ الْمَسِيرَ وَمَعَهُم « لَيْلَى » . وَهُمْ يَتَهَامِسُونَ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ نَاطِرِينَ إِلَى رَفِيقَتِهِمُ الْجَدِيدَةِ . وَبَعْدَ سَيْرٍ طَوِيلٍ شَاقٍّ عَبَرَ التَّلَالَ وَالْوَهَادِ<sup>(١١)</sup> الْوَعْرَةَ أَخَذَ التَّعَبُ مِنْ « لَيْلَى » كُلَّ مَا أَخَذَ<sup>(١٢)</sup> . بَكَتْ . وَشَاهَدَتْهَا النُّورِيَّةُ الْعَجُوزُ تَبْكِي ، فَلَمْ تُشْفِقْ عَلَيْهَا ، بَلْ نَهَرَتْهَا<sup>(١٣)</sup> وَهَدَّدَتْهَا بِالضَّرْبِ إِنْ هِيَ رَفَعَتْ صَوْتَهَا .

غَضَّتِ الصَّغِيرَةُ الْمُسْكِينَةَ بِالذَّمْعِ حِينَ سَمِعَتْ هَذَا التَّهْدِيدَ الْمُفَاجِئَ ، وَتَابَعَتْ سَيْرَهَا مَعَ النُّورِ وَهِيَ تَجُرُّ خُطَاَهَا جَرًّا .

حَلَّ اللَّيْلُ<sup>(١٤)</sup> بِظُلْمَتِهِ الْحَالِكَةِ ، وَسَمِعَتْ « لَيْلَى » نُبَاحَ كِلَابٍ صَادِرًا مِنْ وَرَاءِ التَّلَّةِ الَّتِي وَصَلُوا إِلَيْهَا ، فَلَاحَ فِي عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ بَرِيقٌ أَمَلٍ . وَهِيَ تَقُولُ لِنَفْسِهَا :

- أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ! أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ! سَأَرَى وَالِدَيَّ عَمَّا قَرِيبٍ !..

وَصَلَ النَّوْرُ ، وَمَعَهُمْ « لَيْلَى » ، إِلَى قِمَّةِ التَّلَّةِ ، فَنَظَرَتْ بِشَوْقٍ إِلَى  
النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى وَهِيَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَدْخَلِ  
قَرَّتِيهَا . وَلَكِنْ ، يَا لَخَيْبَةِ أَمَلِهَا ! فَقَدْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَرَى فِي  
الَّيْلِ الْحَالِكِ خِيَاماً مَنْصُوبَةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَالْكِلَابِ <sup>(٤٥)</sup> **تَهْرُولُ**  
نَحْوَ الْقَادِمِينَ نَابِحَةً .



عِنْدَيْهِ عِلِمَتْ  
« لَيْلَى » أَنَّ النَّوْرَ قَدْ  
سَرَقُوهَا وَأَبْعَدُوهَا عَنْ  
أَهْلِهَا ، وَأَنَّهَا قَدْ  
وَصَلَتْ مَعَهُمْ إِلَى  
مُضَارِبِهِمْ !.. فَأَجْهَشَتْ  
بِالْبُكَاءِ <sup>(٤٦)</sup> ، ثُمَّ  
خَرَّتْ <sup>(٤٧)</sup> عَلَى وَجْهِهَا  
تَسْقِي التُّرَابَ مِنْ دَمْعِهَا .

\* \* \*

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » يَبْحَثُ عَنْ « لَيْلَى » فِي  
خَرَاJِ الْقَرْيَةِ <sup>(٤٨)</sup> مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ الْأَشْدَّاءِ عَلَى ضَوْءِ **الْمَشَاعِلِ** <sup>(٤٩)</sup>  
ذَلِكَ أَنَّ صَدِيقَاتِ « لَيْلَى » قَدْ عُدْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ بَعْدَ الْمَغِيبِ وَلَمْ

تَعُدُّ « لَيْلَى » مَعَهُنَّ ، فَاسْتَبَدَّ <sup>(١٥٠)</sup> الْقَلْقُ بِأُمِّهَا وَأَبِيهَا ؛ وَبَعْدَ أَنْتَظَارٍ  
يَائِسٍ خَرَجَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » مَعَ رِجَالِهِ يَبْحَثُونَ عَنْ « لَيْلَى » لِيَعُودُوا  
بِهَا إِلَى الْأُمِّ الْمُسْكِينَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُهَا بِقَلْقٍ .

لَمْ يَتْرُكِ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » وَرِجَالُهُ بُقْعَةً مِنَ الْغَابَةِ إِلَّا فَتَشُوا  
أَرْجَاءَهَا ، حَتَّى تَجَاوَزُوا الْقَرْيَةَ وَبَعْضَ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ مِنْ غَيْرِ  
أَنْ يَجِدُوا « لَيْلَى » أَثَرًا . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْتَصَفَ ، فَعَادُوا <sup>(١٥١)</sup> خَائِبِينَ .

دَخَلَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » إِلَى مَنْزِلِهِ <sup>(١٥٢)</sup> مَتَجِّهِمُ الْوَجْهِ ، فَسَارَعَتْ  
أُمُّ « لَيْلَى » بِلَهْفَةٍ تَسْتَطْلِعُهُ الْخَبَرُ . وَلَكِنْ <sup>(١٥٣)</sup> سُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ رَجَاؤُهَا  
إِلَى <sup>(١٥٤)</sup> خَيْبَةٍ ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي بِمَرَارَةٍ ، وَزَوْجُهَا لَا يَدْرِي كَيْفَ  
يُخَفِّفُ عَنْهَا وَطْأَةَ الْحُزْنِ . قَالَ لَهَا :

— لَا تَفْقِدِي الرَّجَاءَ يَا عَزِيزَتِي . سَنَعُودُ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ « لَيْلَى »  
عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، وَإِنَّا لَوَاجِدُوهَا بِإِذْنِ اللَّهِ .

لَمْ يَغْمُضْ لِلْوَالِدَيْنِ جَفْنٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَمَا إِنَّ لَاحَ الْفَجْرِ  
حَتَّى رَكِبَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » وَرِجَالُهُ الْخَيْلَ ، وَأَنْطَلَقُوا ؛ وَمَا زَالُوا  
فِي بَحْثٍ مُسْتَمِرٍّ حَتَّى أَنْقَضَى النَّهَارُ مِنْ غَيْرِ <sup>(١٥٥)</sup> جَدْوَى . كَانُوا  
يَسْأَلُونَ عَنْ « لَيْلَى » فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ ، يَسْأَلُونَ  
الْفَلَاحِينَ الَّذِينَ أَنْصَرَفُوا إِلَى أَشْغَالِهِمْ فِي الْحُقُولِ ، وَالْمَارِينَ الَّذِينَ

يَلْتَقُونَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ . وَلَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَهْدِهِمْ إِلَى بَصِيصٍ  
أَمَل (١٥٥)



عَادَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » إِلَى زَوْجِهِ بِالْخَيْبَةِ ، فَجَلَسَ الْاِثْنَانِ يَبْكِيَانِ  
بُكَاءَ مُرًّا ، وَقَدْ فَقَدَا كُلَّ أَمَلٍ فِي الْعُثُورِ عَلَى ابْنَتَيْهِمَا !

## ٢- «لَيْلَى» النُّورِيَّة

لَمْ تَعْرِفْ «لَيْلَى» طَعْمًا **لِلرُّقَادِ** <sup>(٥٦)</sup> لَيْلَةً أَخْطَافِهَا . كَانَتْ النُّورِيَّةُ  
الْعَجُوزُ قَدْ خَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَهَا الْجَمِيلَةَ الزَّاهِيَةَ وَالْبَسَتْهَا رِدَاءً  
أَسْوَدَ طَوِيلًا ، ثُمَّ أَدْخَلَتْهَا إِلَى خِيَمَتِهَا وَفَرَشَتْ لَهَا عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْهَا  
حَصِيرًا مُمَزَّقًا بَالِيًا ، وَأَمَرَتْهَا بِأَنْ تَنَامَ وَأَلَّا تَأْتِيَ **حَرَكَاءَ** <sup>(٥٧)</sup> . وَعَبَثًا  
حَاوَلَتْ الصَّغِيرَةُ الْمُسْكِينَةَ أَنْ تَنَامَ ، وَكَيْفَ لَهَا أَنْ تَنَامَ وَقَدْ  
سُلِخَتْ مِنْ أَحْضَانِ وَالِدَيْهَا ؟ !

وَمَا أَنْبَلَجَ الصَّبَاحُ <sup>(٥٨)</sup> حَتَّى أَنْصَرَفَتْ الْعَجُوزُ إِلَى «لَيْلَى» سَاعَاتٍ  
طَوَالًا ، فَصَبَغَتْ شَعْرَهَا **بِالْحِنَاءِ** <sup>(٥٩)</sup> ، وَكَحَلَتْ رُمُوشَ عَيْنَيْهَا ، فَتَبَدَّلَتْ  
**مَلَامِحُ** <sup>(٦٠)</sup> الصَّغِيرَةِ . وَلَوْ أَنَّ ذَوَيْهَا شَاهَدُوهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَظَنُوا  
أَنَّهَا نُورِيَّةٌ أَصْلِيَّةٌ !

وَفِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ رَاحَتِ النُّورِيَّةُ الْعَجُوزُ تُلَقِّنُ «لَيْلَى» الرِّقَصَ  
وَالْغِنَاءَ ، فَلَمْ تُحْسِنْهُمَا فِي بَادِيءِ الْأَمْرِ ، وَكَانَتْ النُّورِيَّةُ تَضْرِبُهَا  
بِقَسْوَةٍ وَتُرْغِمُهَا عَلَى مُتَابَعَةِ الْعَمَلِ **بِلَا هَوَادَةٍ** <sup>(٦١)</sup> . وَكَانَ النَّورُ يَنْظُرُونَ  
إِلَى الصَّغِيرَةِ الْبَائِسَةِ غَاضِبِينَ وَيُعَنِّفُونَهَا <sup>(٦٢)</sup> كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ سَانِحَةٌ <sup>(٦٣)</sup>

رَضَحَتْ « لَيْلَى » لِشَقَاءِ حَالِهَا ، وَاسْتَطَاعَتْ ، بِفَضْلِ إِرَادَتِهَا  
وَفِطْنَتِهَا وَذَكَائِهَا ، أَنْ تَتَعَلَّمَ فُنُونَ النُّورِ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ بَعْدَ



مُدَّةٍ تُتَقِنُهَا وَتَفُوقُ بِهَا بَنَاتِ النَّورِ أَنْفُسَهُنَّ .

وَتَدَرَّبَتْ « لَيْلَى » عَلَى أَصُولِ الْمِهْرَجَانَاتِ وَالْحَفَلَاتِ الَّتِي يَذْهَبُ إِلَيْهَا النَّورُ **سَعْيًا وَرَاءَ الْمَالِ** <sup>(٦٦)</sup> ، فَكَانَتْ تَرْقُصُ مُتَمَايِلَةً ، وَتُغَنِّي بِصَوْتٍ جَمِيلٍ ، حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تُؤَلِّفُ الْأَغَانِي وَتَرْتَجِلُهَا <sup>(٦٥)</sup> بِنَبْرَةٍ حَزِينَةٍ . وَلَفَّتَتْ أَلْفَتَاةُ أَنْظَارِ الْمُتَفَرِّجِينَ بِجَمَالِهَا وَفَنِّهَا **غَيْرَ مَرَّةٍ** <sup>(٦٦)</sup> ، فَكَانُوا يُشْفِقُونَ عَلَيْهَا **وَيُجْزِلُونَ** <sup>(٦٧)</sup> لَهَا الْعَطَاءَ حِينَ تَدُورُ عَلَيْهِمْ لِتَجْمَعَ مِنْهُمْ الْمَالَ بَعْدَ إِنْتِهَاامِ عَمَلِهَا . وَفَرِحَ النَّورُ لِمَهَارَةِ « لَيْلَى » وَتَخَصُّيلِهَا الْمُثْمِرِ ، **فَكَفُّوا** <sup>(٦٨)</sup> عَنْ ضَرْبِهَا وَتَحْقِيرِهَا ، وَتَرَكَوْهَا لِحُزْنِهَا وَشَقَائِهَا .

**بَيِّنْ أَنْ** <sup>(٦٩)</sup> الصَّغِيرَةَ الْمُسْكِينَةَ لَمْ تَعْرِفْ لِلِسَعَادَةِ طَعْمًا . وَبَقِيَتْ مَعَ النَّورِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ خَمْسَ سَنَوَاتٍ طَوَالِ لَمْ تَفْقِدْ خِلَالَهَا الرَّجَاءَ . كَانَتْ تَذْهَبُ مَعَ النَّورِ إِلَى الْقُرَى لِلرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ ، فَتَتَفَرَّسُ فِي وُجُوهِ الْمُتَفَرِّجِينَ **عَلَيْهَا تَجِدُ** <sup>(٧٠)</sup> بَيْنَهُمْ وَجْهًا أَلِيْفًا يُعِيدُهَا إِلَى وَالِدَيْهَا . **وَلَكِنْ أَنَّى لَهَا أَنْ تَرَى مَنْ تَعْرِفُهُ** <sup>(٧١)</sup> ، وَالنَّورُ يَتَنَقَّلُونَ بَيْنَ قَرْيَةٍ وَأُخْرَى لَا **يَسْتَقِرُّونَ** <sup>(٧٢)</sup> فِي مَكَانٍ ؟

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الرَّبِيعِ تَوَجَّهَ النَّورُ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى الْكَبِيرَةِ الْمُجَاوِرَةِ بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ الرَّبِيعِ فِيهَا . وَهَذَا الْعِيدُ **يَسْتَغْرَقُ** <sup>(٧٣)</sup> أُسْبُوعًا كَامِلًا .

عِيدُ الرَّبِّيعِ ! وَمَا عِيدُ الرَّبِّيعِ بِالنَّسْبَةِ « لَيْلَى » ؟ يَقُولُونَ إِنَّ  
فِي الرَّبِّيعِ سَعَادَةً وَأَمَلًا . وَلَكِنَّ السَّعَادَةَ بَاتَتْ حُلْمًا بَعِيدًا يُدَاعِبُ  
خَيَالَ « لَيْلَى » ؛ وَأَمَّا الْأَمَلُ فَكَانَ النُّورَ الْوَحِيدَ الضَّئِيلَ الَّذِي **يَبْعَثُ** (٧٤)  
فِي قَلْبِهَا بَعْضَ الْحَيَاةِ !

### ٣ - بَيْعُ السِّمِمْيَّةِ !

وَصَلَ النُّورُ إِلَى خَرَاJ الْقَرْيَةِ عَشِيَّةَ ابْتِدَاءِ الْعِيدِ ، وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ فِي بُقْعَةٍ هَادِئَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الطَّرِيقِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ يَعْرضُونَ فُنُونَهُمْ ، **مُخَلِّفِينَ** <sup>(٧٥)</sup> وَرَاءَهُمْ شُيُوخَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ . قَامُوا يُغَنُّونَ وَيَرْقُصُونَ ، وَ« لَيْلَى » تَرْقُصُ وَتُغَنِّي مَعَهُمْ .

كَانَتْ الْأَحْتِفَالَاتُ رَائِعَةً ، فِيهَا أَلْوَانُ شَتَّى مِنَ اللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ . تَذَكَّرْتُ « لَيْلَى » عِيدَ الْقِطَافِ فِي قَرْيَتِهَا ، **فَانْسَابَتْ** <sup>(٧٦)</sup> عَلَى خَدَّيْهَا دُمُوعُ الْحَسْرَةِ !

وَفِيمَا هِيَ فِي رَقْصِهَا وَغِنَائِهَا رَاحَتْ تَنْظُرُ إِلَى الشَّبَانِ يَرْقُصُونَ الدَّبْكَةَ ، وَإِلَى الرِّجَالِ يَلْعَبُونَ بِالسَّيْفِ وَالتُّرْسِ ، وَإِلَى الْأَطْفَالِ يَلْهُونَ وَيَمْرَحُونَ . وَخَيَّلَ « لَيْلَى » أَنَّ عَجَلَةَ الزَّمَانِ تَعُودُ بِهَا إِلَى الْوَرَاءِ . آه ! يَا لِلْحُلُمِ الْجَمِيلِ ! فَقَدْ رَأَتْ نَفْسُهَا تَلْهُو مَعَ الْأَوْلَادِ فَرِحَةً سَعِيدَةً ، **لَا يُعَكِّرُ صَفْوَ حَيَاتِهَا غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ** <sup>(٧٧)</sup> . **وَطَافَتْ بِبَصَرِهَا** <sup>(٧٨)</sup> مِنْ جَدِيدٍ فِي الْبَائِعِينَ ، وَالْأَطْفَالِ يَشْتَرُونَ الْحُلُوى وَيَلْتَهُمُونَهَا .

فَهِىَ فِي السَّنِينَ الْخَمْسِ الَّتِي عَاشَتْهَا مَعَ النُّورِ لَمْ تَذُقْ لِلْحَلَوَى  
طَعْمًا<sup>(١٧٩)</sup> ! وَأَزْدَادَتْ لَوْعَتَهَا<sup>(١٨٠)</sup> حِينَ تَذَكَّرَتْ السُّمُومِيَّةَ وَبَائِعَ  
السُّمُومِيَّةَ ، « كَرِيمًا » ، الَّذِي كَانَ يُلَاطِفُهَا وَيُكْرِمُهَا .

كَانَتْ تُفَكِّرُ بِاسْتِمْرَارٍ : مَاذَا لَوْ أَنَّهَا تَقَدَّمَتْ ، وَهِيَ فِي غَمْرَةٍ<sup>(١٨١)</sup>  
الرَّقْصِ ، مِنْ أَحَدِ الْمُتَفَرِّجِينَ وَعَرَفَتْهُ بِنَفْسِهَا ؟ وَلَكِنْ هِيَ هَاتِئَاتٍ أَنْ  
يَتِمَّ لَهَا ذَلِكَ<sup>(١٨٢)</sup> ! فَالنُّورُ يُحِيطُونَ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَهُمْ يُرَاقِبُونَ  
حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا ! وَهَبْ أَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ تَثْبِتُ  
حَقِيقَةَ هُويَّتِهَا<sup>(١٨٣)</sup> ، وَقَدْ غَدَتْ<sup>(١٨٤)</sup> كَالنُّورِ زِيًّا وَمَظْهَرًا ؟

وَفَجْأَةً عَادَتْ « لَيْلَى » إِلَى وَاقِعِهَا الْأَلِيمِ عَلَى تَضْفِيقِ الْمُتَفَرِّجِينَ  
الْمُعْجَبِينَ بِرَقْصِهَا وَغِنَائِهَا ، فَتَقَدَّمَتْ مِنْهُمْ كَالْمُعْتَادِ تَجْمَعُ أَلْمَالُ .  
ثُمَّ تَحَوَّلَتْ مَعَ الْعَازِفِ إِلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى تَعْرِضُ رَقْصَهَا وَغِنَاءَهَا .  
وَعَادَ الْخِيَالُ يَحْمِلُهَا إِلَى دُنْيَا الْأَحْلَامِ . أَدَارَتْ طَرْفَهَا<sup>(١٨٥)</sup> فِي النَّاسِ ،  
بَاحِثَةً . آمِلَةً . وَفَجْأَةً رَأَتْهُ ! ... يَا إِلَهِي ! مَنْ هَذَا ؟ ! هَلْ هَذَا  
وَهُمْ أُمُّ حَقِيقَةٍ ؟ ! لَقَدْ عَرَفَتْهُ لِلْحَالِ ! إِنَّهُ « كَرِيمٌ » ، بَائِعُ  
السُّمُومِيَّةِ . ابْنُ قَرِيَّتِهَا !

تَسَارَعَتْ دَقَّاتُ قَلْبِ « لَيْلَى » وَأَحَسَّتْ بِالنَّشْوَةِ<sup>(١٨٦)</sup> تَغْمُرُهَا .  
وَبَدَأَ مُرَافِقُهَا النُّورِيُّ يَنْقُرُ أَوْتَارَ آلَتِهِ ، وَبَدَأَتْ « لَيْلَى » تَرْقُصُ

وَتُغْنِي . وَإِذَا بِهَا تَرْتَجِلُ أُغْنِيَّةً ، كَمَا أَرْتَجَلْتُ مِنْ قَبْلُ أُغْنِيَاتٍ  
أَثَارَتْ بِهَا الْإِعْجَابُ <sup>(٨٧)</sup>



رَاحَتْ تُغْنِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ **مُنْفَعِلٌ** <sup>(١٨٨)</sup> :

يَا بَيَّاعَ السَّمْسِمِيَّةِ      قُولِ لِأُمِّي قُولِ لِبَيْتِهِ  
كُنْتُ آكُلُ بِالْمَلَاعِقِ      صِرْتُ آكُلُ بِإَيْدِيهِ  
كُنْتُ أَلْبَسُ الْحَرَايِرَ      صِرْتُ أَلْبَسُ الْعَبَايَا  
كُنْتُ ذُوقُ الْحُلُوى مِنْكَ      وَأَنْتَ تَتَكَارَمُ عَلَيْهِ  
وَتَقُولُ لِي بَعْطِفٍ وَمَحَبَّةٍ      أَلْفَ صِحَّةٍ يَا صَبِيَّةِ

إِلْتَفَتَ « كَرِيمٌ » بَائِعُ السَّمْسِمِيَّةِ إِلَى الْفَتَاةِ وَهِيَ تُنْشِدُ هَذِهِ  
الْأُغْنِيَةَ الْعَجَبِيَّةَ . فَلَمْ يَتَعَرَّفْ إِلَيْهَا فِي الْبَدْءِ ، فَعَادَ إِلَى سِمْسِمِيَّتِهِ  
يَبِيعُ قِطْعَهَا مِنَ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ تَجَمَّهَرُوا حَوْلَهُ . وَلَكِنَّ « لَيْلَى » لَمْ  
تَيَأْسُ ، فَعَادَتْ تُنْشِدُ الْأُغْنِيَةَ تَكَرَّاراً . حَتَّى تَنَبَّهَ « كَرِيمٌ » ، وَرَاحَ  
يَنْظُرُ إِلَى النُّورِيَّةِ الصَّغِيرَةِ **بِإِمْعَانٍ** <sup>(١٨٩)</sup> وَتَعَجَّبَ . لَا ! لَيْسَ فِي الْأَمْرِ  
خَطَأٌ ! ... أَلْعَيْنَانِ **الْمُتَّقِدَتَانِ** <sup>(١٩٠)</sup> ذَكَاءٌ ، إِنَّهُمَا عَيْنَا « لَيْلَى » ! ...  
وَالشَّامَتَانِ فِي وَسْطِ الْخَدِّ . إِنَّهُمَا شَامَتَا « لَيْلَى » ، « لَيْلَى » ابْنَةُ  
الشَّيْخِ « جَابِرٍ » !

وَلَمْ يَتِمَّا لَكَ نَفْسَهُ . فَصَاحَ :

- « لَيْلَى » .. ! « لَيْلَى » .. !

وَرَأَتْ « لَيْلَى » شَفَتَيْهِ تَنْطِقَانِ بِأَسْمِهَا ، وَلَكِنَّ ، لِحُسْنِ حَظِّهَا ،

لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ فِي غَمْرَةِ **الضوضاء** <sup>(٩١)</sup> . فَاسْتَدَارَتْ **مُعْرَضَةً** <sup>(٩٢)</sup> عَنْهُ

خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى  
مُخَاطَبَتِهَا فَيَنْفَضِحَ أَمْرُهَا .



وَعَرَفَ « كَرِيمٌ » حَقِيقَةَ  
الْوَضْعِ ، فَلَمْ يُطِقِ أَنْتِظَارًا ،  
بَلْ **تَسَلَّلَ** <sup>(٩٣)</sup> بَيْنَ الْجُمُوعِ  
**الْغَفِيرَةِ** <sup>(٩٤)</sup> ، وَجَدَ <sup>(٩٥)</sup> فِي  
السَّيْرِ إِلَى قَرَيْتِهِ لِيَنْقُلَ  
النَّبَأَ إِلَى الشَّيْخِ « جَابِرٍ »  
وَزَوْجِهِ الْحَزِينَةِ . وَمَا زَالَ  
يَحُثُّ خُطَاهُ حَتَّى بَلَغَ  
قَرَيْتَهُ عِنْدَ **بُزُوغِ** <sup>(٩٦)</sup> شَمْسِ  
الْيَوْمِ التَّالِيِ وَقَدْ أَعْيَاهُ

التَّعَبُ . فَطَرَقَ بَابَ الشَّيْخِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى زَوْجِهِ **مَنْهُوَكًا** <sup>(٩٧)</sup>  
وَلَكِنَّ **أَسَارِيرَ** <sup>(٩٨)</sup> وَجْهِهِ كَانَتْ تَطْفَحُ **بِشْرًا** <sup>(٩٩)</sup> !

## ٤ - السَّعَادَةُ بَعْدَ الشَّقَاءِ

كَانَ الْيَأْسُ وَالْحُزْنُ قَدْ أَنَهَكَ الشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ فِي هَذِهِ السَّنِينَ  
الْخَمْسِ، فَكَانَ **قَرْنًا** <sup>(١٠٠)</sup> كَامِلًا قَدْ مَضَى عَلَيْهِمَا . شَابَ شَعْرُهُمَا ،  
وَحُفِرَتْ **أَخَادِيدُ** <sup>(١٠١)</sup> عَمِيقَةً فِي خَدَيْهِمَا . وَمُنْذُ ضَيَاعِ « لَيْلَى » فَقَدَا  
تِلْكَ الْأَبْتِسَامَةَ اللَّطِيفَةَ الَّتِي كَانَتْ لَا تُفَارِقُ ثَغْرَيْهِمَا ، فَبَقِيََا حَزِينَيْنِ ،  
**وَاجْمَعَيْنِ** <sup>(١٠٢)</sup> ، **وَطَيْفٌ** <sup>(١٠٣)</sup> « لَيْلَى » لَا يُغَادِرُ مُخِيلَتَهُمَا .

وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمَا « كَرِيمٌ » بَائِعُ السَّمْسِمِيَّةِ **عَلَى هَذَا النَّحْوِ** <sup>(١٠٤)</sup> ،  
صَاحَ بِهِمَا وَدُمُوعُ الْفَرَحِ **تَنْهَمِرٌ** <sup>(١٠٥)</sup> مِنْ عَيْنَيْهِ :

- لَقَدْ شَاهَدْتُهَا ! شَاهَدْتُ « لَيْلَى » ! أَنَا أَعْرِفُ أَيْنَ هِيَ الْآنَ !

كَادَ الشَّيْخُ وَزَوْجُهُ يَسْقُطَانِ مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ ، فَأَقْبَلَا عَلَى « كَرِيمٍ »  
يُقْبَلَانِهِ وَيَسْتَوْضِحَانِهِ الْخَبَرَ . قَالَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » وَصَوْتُهُ يَكَادُ  
يَخْتَنِقُ بِالدَّمْعِ :

- مَاذَا تَقُولُ يَا أَبْنِي ؟ هَلْ شَاهَدْتَ « لَيْلَى » حَقًّا ؟ بَرَبِّكَ ،

هَلْ هَذَا صَحِيحٌ ؟

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَزِينَةُ وَهِيَ تَبْكِي وَتَضْحَكُ :

- كَرِيم ! أَحَقًّا رَأَيْتَ «لَيْلَى» ، أَبْنَتِي ، حَبِيبَتِي ؟

أَجَابَ « كَرِيمٌ »  
بِصَوْتٍ مُتَأَثِّرٍ :

- أَجَلُ ! أَجَلُ !  
شَاهَدْتُهَا !... إِنَّهَا «لَيْلَى» !  
إِنَّهَا « لَيْلَى » عَيْنُهَا !  
عَيْنَاهَا ، شَامَتَاهَا ... لَا...  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ  
مُخْطِئًا .

ثُمَّ قَصَّ عَلَى أَلْوَالِدَيْنِ  
كَيْفَ أَنْشَدَتْ « لَيْلَى »  
الْأُغْنِيَةَ الَّتِي أَثَارَتْ  
اِتِّبَاهَهُ ، وَأَخْبَرَهُمَا  
بِاضْطِرَابِ «لَيْلَى» وَخَوْفِهَا  
مِنْ أَنْ يَكْتَشِفَ النُّورُ ،  
خَاطِفُوهَا ، حَقِيقَةَ مَا  
فَعَلَتْ . ثُمَّ **أَرَدَفَ** (١٠٦) :

- عَجَّلْ يَا شَيْخُ !



أَمَامَنَا طَرِيقٌ طَوِيلٌ ، وَمَسِيرَةٌ يَوْمٌ كَامِلٌ !

قَالَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » قَلِقًا :

- يَوْمٌ كَامِلٌ ؟ وَمَنْ يَضْمَنُ بَقَاءَ النُّورِ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ لِيَوْمِ  
التَّالِي ؟

أَجَابَ « كَرِيمٌ » :

- لا ! لا ! الْأَخْتِفَالُ بَعِيدُ الرَّبِيعِ يَدُومُ أُسْبُوعًا كَامِلًا . فَالنُّورُ  
بَاقُونَ فِي الْقَرْيَةِ إِذَا عِدَّةَ أَيَّامٍ **رَيْثَمَا** <sup>(١٠٧)</sup> يَنْتَهِي .

أَخَذَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » يَدُورُ فِي الْمَنْزِلِ مُهْرُولًا لَا يَدْرِي مَاذَا  
يَفْعَلُ . نَادَى أَجِيرَهُ وَرِجَالَهُ ، وَرَاحَ يُصْدِرُ تَعْلِيمَاتِهِ وَأَوَامِرَهُ وَقَدْ  
**ضَاقَ ذَرْعًا** <sup>(١٠٨)</sup> بِالْإِنْتِظَارِ .

ثُمَّ رَكِبَ وَعَشْرَةٌ مِنْ رِجَالِهِ الْبَوَاسِلَ الْجِيَادَ ، وَأَنْطَلَقُوا إِلَى  
غَايَتِهِمْ . كَانَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » يَتَقَدَّمُ الْجَمَاعَةَ وَإِلَى جَانِبِهِ « كَرِيمٌ »  
بَائِعُ السُّمُسِمِيَّةِ . وَمَا زَالُوا يَجِدُونَ حَتَّى بَلَغُوا الْقَرْيَةَ مَسَاءً وَهِيَ  
**تَرْفُلُ فِي حُلَّةِ الْعِيدِ** <sup>(١٠٩)</sup>

دَخَلَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » وَرِجَالُهُ عَلَى شَيْخِ الْقَرْيَةِ ، فَعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ  
وَقَصَّ عَلَيْهِ حِكَايَتَهُ ، فَوَعَدَهُ شَيْخُ الْقَرْيَةِ بِأَنْ يُقَدِّمَ لَهُ كُلَّ مُسَاعَدَةٍ

وَعَوْنٌ<sup>(١١٠)</sup>. وَخَرَجَ مَعَهُ وَفِي الرِّجَالِ الْآخِرِينَ مُتَّجِهِينَ نَحْوَ مَوْضِعِ  
الْأُحْتِفَالِ.



تَفَرَّقَ الرُّجَالُ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ مُرَاقِبِينَ جَمَاعَاتِ النُّورِ ، وَطَافَ  
 الشَّيْخُ « جَابِرٌ » مَعَ « كَرِيمٍ »  
 بَاحِثِينَ مُسْتَطَلِعِينَ . فَرَأَيَا  
 بَعْضَ النُّورِ يَرْقُصُونَ  
 وَيُغْنُونَ ، وَلَكِنَّ « لَيْلَى »  
 لَمْ تَكُنْ فِي جُمْلَتِهِمْ .



وَفَجْأَةً سَمِعَ « كَرِيمٌ »  
 صَوْتًا نَاعِمًا يَطِيرُ إِلَى أُذُنِهِ  
 وَسَطَ الضُّجِيجِ ، فَجَمَدَ فِي  
 مَكَانِهِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ الشَّيْخِ  
 « جَابِرٍ » يَسْتَوْقِفُهُ . قَالَ :

— هَذَا الصَّوْتُ ! أَتَسْمَعُ ؟  
 إِنَّهُ صَوْتُ « لَيْلَى » !

وَأَسْرَعَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ »  
 وَ « كَرِيمٌ » إِلَى مَصْدَرِ  
 الصَّوْتِ ، وَإِذَا بِهِمَا أَمَامَ

« لَيْلَى » تَرْقُصُ وَتُغْنِي ! لَمْ يَعْرِفِ الشَّيْخُ أَبْنَتَهُ مِنَ النَّظَرَةِ الْأُولَى ،  
 فَقَدْ كَبُرَتْ ، وَنَحَلَتْ ، وَتَبَدَّلَتْ مَلَامِحُهَا . وَلَكِنَّ قَلْبَ الْأَبِ

يَدُلُّهُ عَلَى وَلَدِهِ مَهْمَا فَرَّقَتْ بَيْنَهُمَا الْأَيَّامُ . شَقَّ الشَّيْخُ « جَابِرٌ »  
صُفُوفَ الْمُتَفَرِّجِينَ ، وَأَنْدَفَعَ إِلَى ابْنَتِهِ فَاتِحاً ذِرَاعَيْهِ صَائِحاً :

- لَيْلَى ! ابْنَتِي ! حَبِيبَتِي !

نَظَرَتْ « لَيْلَى » إِلَى وَالِدِهَا فَعَرَفَتْهُ **لِتَوَّهَا** <sup>(١١١)</sup> ، فَأَسْرَعَتْ تَرْتَمِي  
عَلَى صَدْرِهِ وَتُسَبِّعُهُ **لَشَمًّا** <sup>(١١٢)</sup> ، وَهُوَ يُشَبِّعُهَا ضَمًّا وَتَقْبِيلًا ، وَهُمَا يَكَادَانِ  
لَا يُصَدِّقَانِ حَقِيقَةَ مَا يَجْرِي .

بَكَتِ « لَيْلَى » ، وَبَكَى الشَّيْخُ « جَابِرٌ » ، وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمَا  
يَنْظُرُونَ مُتَعَجِّبِينَ وَلَا يَفْهَمُونَ . وَأَقْبَلَ شَيْخُ الْقَرْيَةِ مُمَسِكاً بِرَأْسِ  
النَّوْرِ ، فَأَمَرَ رِجَالَهُ بِالْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَى النَّوْرِ رِثْمًا يَأْتِي رِجَالُ الدَّرَكِ .  
شَكَرَ الشَّيْخُ « جَابِرٌ » شَيْخَ الْقَرْيَةِ ، وَأَنْصَرَفَ مَعَ رِجَالِهِ ، وَقَدْ  
**تَهَادَتْ** <sup>(١١٣)</sup> « لَيْلَى » مَعَهُ عَلَى **صَهْوَةٍ** <sup>(١١٤)</sup> جَوَادِهِ .

\* \* \*

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الْتَأَلَّى خَرَجَ أَحَدُ رِجَالِ الشَّيْخِ « جَابِرٍ » مِنْ  
قَرْيَتِهِ عَلَيْهِ يَظْفَرُ بِخَبَرٍ عَنِ الشَّيْخِ وَجَمَاعَتِهِ . وَمَا إِنَّ شَاهِدَ الْمَوْكِبِ  
يَتَقَدَّمُهُ الشَّيْخُ وَ« لَيْلَى » حَتَّى خَفَّ مُسْرِعاً إِلَى أُلُوَالِدَةِ يُبَشِّرُهَا  
بِقُدُومِ الْحَبِيبَةِ .

وَمَا جَتِ الْقَرْيَةُ **غِبْطَةً** <sup>(١١٥)</sup> ، فَخَرَجَتِ النِّسَاءُ **مُزْغِرِدَاتٍ** <sup>(١١٦)</sup>

وَالْأَطْفَالُ وَرَاءَهُنَّ يُغْنُونَ وَيَحْدُونَ<sup>(١١٧)</sup>. وَتَرَكَ الرَّجَالُ أَعْمَالَهُمْ  
وَجَاؤُوا يَسْتَقْبِلُونَ «لَيْلى». وَكَانَتِ الْأُمُّ تُسْرِعُ لِلِقَاءِ ابْنَتِهَا وَقَدْ



عَادَ إِلَيْهَا الشَّبَابُ .

نَزَلَتْ « لَيْلَى » مِنْ عَن جَوَادٍ أَبِيهَا وَهَرَعَتْ إِلَى أُمِّهَا . فَكَانَ لِقَاءُ ، وَكَانَ بُكَاءُ ، وَكَانَ مَنْظَرٌ تَقَطَّعَتْ لَهُ قُلُوبُ النَّاسِ تَأَثُّراً . وَأَقْبَلَتْ صَدِيقَاتُ « لَيْلَى » **يُهَنِّئْنَهَا وَالْفَرَحُ يَغْمُرُ قُلُوبَهُنَّ** <sup>(١١٨)</sup> ، وَ « لَيْلَى » تَبْكِي وَتَضْحَكُ ، تُقَبِّلُ الْجَمِيعَ كِبَاراً وَصِغَاراً .

دَعَا الشَّيْخُ « جَابِرٌ » أَهْلَ الْقَرْيَةِ وَسُكَّانَ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ إِلَى اخْتِفَالِ أَقَامِهِ عَلَى شَرَفِ ابْنَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مَيَّتَةً فَعَاشَتْ ، وَكَانَتْ **ضَالَّةً** <sup>(١١٩)</sup> فَوُجِدَتْ . وَقَضَى أَهْلُ الْقَرْيَةِ وَالْمَدْعُوُونَ يَوْماً كامِلاً فِي **قَصْفٍ** <sup>(١٢٠)</sup> وَمَرَحٍ .

وَعَادَتْ « لَيْلَى » إِلَى حَيَاتِهَا أَلْهَانِئَةً الرِّغِيدَةَ مَعَ أَبَوَيْهَا وَذَوَيْهَا وَصَدِيقَاتِهَا ، شَاكِرَةً رَبَّهَا جَامِدةً لِعَوْدَةِ الصَّفَاءِ بَعْدَ **الْكَدَرِ** <sup>(١٢١)</sup> ، وَاللِّقَاءِ بَعْدَ **تَفَرُّقِ الشَّمْلِ** <sup>(١٢٢)</sup> .

# قاموس الكتاب

- ١ أَلْقِطَاف : قَطَفَ العِنَب في آخر الموسم لتحويله إلى دبس أو خمر .
- ٢ غِلَالِهِمْ : مفردُها «الغَلَّة»، وهي ما يحصل عليه الإنسان من ثمار رزقه .
- ٣ أَلْدُسُوت : مفردُها «الدَّسْتُ»، وهو وعاء كبير من نحاس، بشكل الطنجرة، يغلون فيه الماء لغسل الثياب، أو يطبخون فيه التين والدبس وغيرهما .
- ٤ يَبِيعُونَهُ مِنَ التَّجَار : أي يبيعونه للتجار الذين يشترون العنب لَعَصْرِهِ .
- ٥ زَاهِيَة : جميلة، مشرقة: «وجهٌ زَاهٍ» .
- ٦ مُتَرْقِصَة : مرتفعة ومنخفضة وكأنَّها في رقص .
- ٧ زَعِيمِهَا : أبرز شخص فيها، سيِّدها، قائدها .
- ٨ لِفِطْنَتِهَا : لذكائها، لفهمها .
- ٩ شَامَتَيْن : مفردُهما «الشَّامَة»، وهي نقطة أو علامة سوداء في الوجه أو الجسم .
- ١٠ فَتَهَا فَتْن : فأسرعنَ ، فتتابعنَ .
- ١١ يُمْنَيْنِ النَّفْس : يعدنَ النفس، ينتظرن .
- ١٢ المِهْرَجَانَات : مفردُها «المِهْرَجَان» ، وهو الاحتفال بعيد أو غيره .
- ١٣ آيَات : مفردُها «الآية»، وهي العمل العظيم، أو الصفة العظيمة، أو الشخص العظيم: «هو آية في الذكاء» .
- ١٤ رُكْن : زاوية، جانب، قسم .
- ١٥ أَلْتُرْس : قطعة من المعدن أو الجلد يحملها المحارب بإحدى يديه ويتقي بها ضربات عدوّه .

- ١٦ أَلْتَوَّرَ : جماعة من الناس يرحلون من مكان إلى آخر سعياً وراء العيش . وهم منتشرون في نواحٍ مختلفة من العالم .
- ١٧ كانوا مُتعةً للناظرين : أي كان الناظرون يجدون لذة في النظر إليهم ويتمتعون بهيئتهم وأعمالهم .
- ١٨ كَهَلُ : من كانت سنه بين الثلاثين والخمسين تقريباً .
- ١٩ رَتَّتْ لها : رحمتها . رَقَّ قلبها لها .
- ٢٠ في حوزتها : في ملكها . لها .
- ٢١ تجول ببصرها في أرجاء الساحة : أي تدبر نظرَها في أنحاء الساحة ، في أقسامها .
- ٢٢ تريد أن لا يفوتها من العيد شيء : أي تريد أن تلهو وتلعب وتتمتع بكل ما في العيد من ألعاب ومأكولات وغيرها .
- ٢٣ جوار : مجاورة ، قُرْب .
- ٢٤ إطلاقاً : عموماً ، من غير استثناء .
- ٢٥ يكنّ : يحفظ في قلبه .
- ٢٦ مودة : محبة : « بينهما مودة » .
- ٢٧ يُجَلّ : يحترم . يعظّم .
- ٢٨ أعطى «ليلي» دون سواها : أي أعطى «ليلي» وحدها زيادة على ما أعطى الآخرين .
- ٢٩ أصداء : مفردُها «الصدى» . وهو جواب الصوت يردّه إلى الأذن جبلٌ أو غيره .
- ٣٠ وقَبَعَت : وانزوت . واختبأت ، واستترت : «قبع في منزله أيام المطر» .
- ٣١ ولكن عبثاً حاولت : أي حاولت وسعت ولكنها لم تنجح ، لم توفّق .
- ٣٢ تنفذ : تخرج ، تصل إلى .
- ٣٣ مُنْفَرَج : مكان متسع أو مكشوف .
- ٣٤ تسرّب : دخل ، انتقل : «تسرّب السرُّ إلى الناس» .
- ٣٥ أَلْدَعَرَ : الخوف : «دبّ الذعر في قلبه» .

٣٦	أدركتها	: بلغتها، لحقتها .
٣٧	وما لبثت «ليلي» أن سمعت	: أي سمعت «ليلي» بعد وقت قصير .
٣٨	أمتعهم	: مفردُها «المتع»، وهو ما يستعمل في البيوت من حاجات وطعام وأدوات وغيرها .
٣٩	مضاربهم	: مفردُها «المضرب»، وهو الخيمة العظيمة .
٤٠	روعها	: خوفها .
٤١	ألوهاد	: مفردُها «الوهدّة»، وهي الأرض المنخفضة، أو الحفرة في الأرض .
٤٢	أخذ التعب من «ليلي» كل مأخذ	: أي أثر فيها التعب كثيراً .
٤٣	نهرتها	: صاحت بها، طردتها .
٤٤	حلّ الليل	: هبط، نزل، خيم .
٤٥	تَهَرَّوْل	: تُسرع .
٤٦	فأجهشت بالبكاء	: فتهيأت للبكاء .
٤٧	خرّت	: سقطت، وقعت .
٤٨	خراج القرية	: صاحبيتها، ما يحيط بها من أملاكها .
٤٩	المتشاعل	: مفردُها «المتشعل»، وهو القنديل .
٥٠	فاستبدّ القلقُ	: فاشتدّ الاضطراب والخوف .
٥١	خائبين	: خاسرين، غير موفقين، من غير أن ينالوا مطلبهم .
٥٢	متجهّم	: عابس .
٥٣	سرعانَ ما تحوّل رجاؤها إلى خيبة	: أي فقدت الأمل بسرعة، فأصبح أملها يأساً .
٥٤	جدوى	: فائدة، نتيجة حسنة .
٥٥	بصيص أمل	: بريق أمل، نور ضئيل من أمل .
٥٦	للرقاد	: للنوم .
٥٧	حرّاكاً	: حركة .

- ٥٨ إنبلج الصّباح : طلع وأنار .
- ٥٩ بالحِناء : بنات ورقه كورق الرمان يُتخذ منه صبغ أحمر للشعر أو اليدين .
- ٦٠ ملامح : ما ظهر من الوجه .
- ٦١ بلا هواة : بلا لين، بلا راحة، بلا رفق .
- ٦٢ ويعنّفونها : ويلومونها بشدة، ويعاملونها بقسوة .
- ٦٣ سنحت لهم ساحة : تيسّرت، أو عرضت، أو حصلت، لهم فرصة .
- ٦٤ سعباً وراء المال : أي عاملين للحصول على المال .
- ٦٥ ترجلها : تولّفها وتلقبها من غير استعداد سابق: «إرتجل الشاعر قصيدته» .
- ٦٦ غير مرّة : أكثر من مرّة: «زرتّه غير مرّة» .
- ٦٧ ويُجزّلون : ويكثرّون .
- ٦٨ فكفّوا : فامتنعوا، فتوقّفوا عن .
- ٦٩ بيد أنّ : غير أنّ، إلّا أنّ .
- ٧٠ علّها تجد : أي أملّها ورجاؤها أن تجد .
- ٧١ ولكنّ أنّى لها أن ترى من تعرفه : أي كيف يُتاح لها، كيف تسمح لها الظروف، أن ترى بين الحاضرين شخصاً تعرفه ؟
- ٧٢ يستقرّون : يقيمون ويسكنون، ولا ينتقلون .
- ٧٣ يستغرق : يدوم، يبقى .
- ٧٤ يبعث : يُدخل .
- ٧٥ مخلفين : تاركين .
- ٧٦ فانساب : فسالت، فأنحدرت .
- ٧٧ لا يعكّر صفو حياتها غمٌّ أو كرب : أي لا يفسد هدوء حياتها وسعادتها حزن .
- ٧٨ وطافت ببصرها : أي وأجالت نظرها، وأدارت نظرها .
- ٧٩ لم تذق للحلوى طعماً : لم تعرف طعم الحلوى، لم تأكل شيئاً من الحلوى .

٨٠	لوعتها	: حزنها .
٨١	غمرة	: شدة، زحمة .
٨٢	ولكن هيهات أن يتم لها	: أي بعيد جداً، صعب جداً، أن تتمكن من ذلك .
٨٣	وهب أنها تمكنت	: ذلك
	من ذلك، فكيف	
	ثبت حقيقة هويتها	: أي لنفرض أنها عرفت أحد المتفرجين بنفسها، فكيف توصل إلى أن تقنعه بأنها حقاً «ليلي» ؟
٨٤	غدت	: باتت، أصبحت .
٨٥	طرفها	: عينها، أو نظرها .
٨٦	بالنشوة	: بالسرور العظيم، بالسعادة العميقة .
٨٧	أثارت بها الإعجاب	: أي أعجبت بها الحاضرين .
٨٨	منفعل	: متأثر .
٨٩	بإمعان	: بمبالغة، بدقة .
٩٠	المتحدثان	: المشتغلان، المتألفتان، الملتصقتان .
٩١	الضوضاء	: الضجة واختلاط الأصوات .
٩٢	معرضة	: مولية، منصرفة، مائلة .
٩٣	تسلل	: خرج وانطلق في خفية، من غير أن يشعر به أحد .
٩٤	الغفيرة	: الكثيرة .
٩٥	وجد	: وأسرع .
٩٦	بزوغ	: طلوع، شروق .
٩٧	منهوكاً	: وقد تعب أشد التعب .
٩٨	أسارير	: خطوط في الوجه والجبهة .
٩٩	تطفح بشراً	: تمتلئ وتفيض فرحاً وبشاشة وانطلاقاً .
١٠٠	قرناً	: مقدار مئة سنة من الزمان .
١٠١	أخاديد	: مفردُها «الأخدود»، وهو الحفرة المستطيلة .
١٠٢	واجمين	: ساكتين عاجزين عن التكلم من كثرة الحزن .

- ١٠٣ وطيف : وخیال، وصورة .
- ١٠٤ على هذا النحو : أي على هذا الشكل .
- ١٠٥ تنهمر : تسيل، تنصب بقوة .
- ١٠٦ أردف : أضاف، تابع .
- ١٠٧ ريثما : حتى، بانتظار أن .
- ١٠٨ ضاق ذرعاً : أي لم يقدر، لم يصبر .
- ١٠٩ ترفل في حلة العيد : أي تبختر، وتزهو، وتسعد، في ثياب العيد .
- ١١٠ وعون : ومساعدة .
- ١١١ لتوها : رأساً، من غير تأخر .
- ١١٢ لثماً : ثقيلًا .
- ١١٣ تهادت : تمايلت .
- ١١٤ صهوة : موضع السرج على ظهر الفرس .
- ١١٥ وماجت القرية غبطةً : أي وتحركت القرية واضطربت سروراً .
- ١١٦ مزغردات : رافعات أصواتهن بالغناء أو الترحيب أو التهنية .
- ١١٧ ويحدون ويحدون : ويغنّون نوعاً معيناً من الغناء يُعرف بـ «الحداء» .
- ١١٨ يهنئونها والفرح يغمر قلوبهن : أي يهنئونها بالسلامة والفرح يملأ قلوبهن .
- ١١٩ ضالة : ضائعة .
- ١٢٠ قصف : أكل وشرب وهو .
- ١٢١ الكدر : ألغم، ألحزن .
- ١٢٢ تفرق الشمل : تفرق من اجتمع من الأهل والأصدقاء .

## الأسئلة

- (١) ما هو العيد الذي تحتفل به القرية ؟
- (٢) أعطِ أسماء بعض المواسم التي يُحتفل بها في « لبنان » .
- (٣) هل تحتفل المدينة أو القرية التي تعيش فيها بمواسم مماثلة ؟ ما هو الموسم ؟ كيف يحتفل به ؟
- (٤) كيف تمكنت النورية ( او العجورية ) من اختطاف « ليلي » ؟
- (٥) هل تعودت « ليلي » بسهولة على الحياة مع النور ؟
- (٦) ما هي الأمور التي تتعلمها فتيات النور لكسب العيش ؟
- (٧) هل شاهدت مرة بعض أفراد النور ؟ ماذا كانوا يفعلون ؟
- (٨) من هو « كريم » ؟ ماذا فعلت « ليلي » حتى عرفتته على نفسها ؟
- (٩) ما هي الحيلة التي اتبعتها « كريم » والشيخ « جابر » للوصول إلى « ليلي » من غير أن يعرف بهما النور ؟
- (١٠) ما هو الشعور الذي انتابك عندما اجتمع شمل عائلة المختار بعد الفراق المرير ؟
- (١١) هل سمعت بحادثة خطف مشابهة الى حدّ ما لما قرأت في هذه القصة ؟ ما هي ؟ اكتب تفاصيلها بنحو عشرة أسطر .

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في  
 يوم ١٥ آذار (مارس) ١٩٨٩  
 على مطابع دار غندور ش. م. م.  
 بيروت

## منشورائنا الفصحية

١	يا بياع السممية	٢	أبو الخيمة الزرقاء
٣	حدثني يا ابي	٤	اسرى الغابة
٥	ملح ودموع	٦	يوم عاد ابي
٧	صندوق أم محفوظ	٨	جدقي
٩	عنب تشرين	١٠	عازفة الكمان
١١	وكان مازن ينادي	١٢	كانت هناك امرأة
١٣	يوم غضبت صور	١٤	بابا مبروك
١٥	الأنامل السحرية	١٦	المعني الكبير
١٧	جلجامش	١٨	نور النهار
١٩	النسر الكرم	٢٠	رنين الحناجر
٢١	النجمتان	٢٢	اين العروس
٢٣	جزيرة الوهم	٢٤	الغرفة السرية
٢٥	النار الخفية	٢٦	الحاج بمبح
٢٧	جوهرة الجواهر	٢٨	دهليز الغرائب
٢٩	التجاريب	٣٠	الصحائف السود
٣١	سلسلة من حكايات بيدبا	٣٢	كوب من العصير
٣٣	المنجم «عصفور»	٣٤	مغامرات أوليس
٣٥	وطلع الصباح	٣٦	اسطورة البحر
٣٧	الشريط المخملي	٣٨	سمايا
٣٩	الشكيون	٤٠	الحب والربيع
٤١	غرباء	٤٢	خاتم... ليبيك!
٤٣	وزة الريش الذهب	٤٤	من أجل عينيها
٤٥	نهرنا الصغير		